دانشگاه پیام نور

نصوص نثریة فی العصر العباسی (۲)

مسعود فرهانی‌عرب الدکتور عبدالعلی دیلمی

امروزه کتاب‌خوانی و علم‌آموزی، نه تنها یک وظیفه‌ی ملی، که یک واجب دینی است.

مقام معظم رهبری

در عصر حاضر یکی از شاخصه‌های ارزیابی رشد، توسعه و پیشرفت فرهنگی هر کشوری میزان تولید کتاب، مطالعه و کتاب‌خوانی مردم آن مرز و بوم است. ایران اسلامی نیز از دیرباز تاکنون با داشتن تمدنی چندهزارساله و مراکز متعدد علمی، فرهنگی، کتابخانه‌های معتبر، علما و دانشمندان بزرگ با آثار ارزشمند تاریخی، سرآمد دولت‌ها و ملت‌های دیگر بوده و در عرصه‌ی فرهنگ و تمدن جهانی به‌سان خورشیدی تابناک همچنان می‌درخشد و با فرزندان نیک‌نهاد خویش هنرنمایی می‌کند. چه کسی است که در دنیا با دانشمندان فرزانه و نام‌آور ایرانی همچون ابوعلی سینا، ابوریحان بیرونی، فارابی، خوارزمی و ... همچنین شاعران برجسته‌ای نظیر فردوسی، سعدی، مولوی، حافظ و ... آشنا نباشد و در مقابل عظمت آنها سر تعظیم فرود نیاورد. تمامی این افتخارات ارزشمند، برگرفته از میزان عشق و علاقه فراوان ملت ما به فراگیری علم و دانش از طریق خواندن و مطالعه منابع و کتاب‌های گوناگون است. به شکرانه‌ی الهی، تاریخ و گذشته ما، همیشه درخشان و پربار است. ولی اکنون در این زمینه در چه جایگاهی قرار داریم؟ آمار و ارقام ارائه‌شده از سوی مجامع و سازمان‌های فرهنگی در مورد سرانه‌ی مطالعه‌ی هر ایرانی، برایمان چندان امیدوارکننده نمی‌باشد و رهبر معظم انقلاب اسلامی نیز از این وضعیت بارها اظهار گله و ناخشنودی نموده‌اند.

کتاب، دروازه‌ای به سوی گستره‌ی دانش و معرفت است و کتاب خوب، یکی از بهترین ابزارهای کمال بشری است. همه‌ی دستاوردهای بشر در سراسر عمر جهان، تا آنجا که قابل کتابت بوده است، در میان دست‌نوشته‌هایی است که انسان‌ها پدید آورده و می‌آورند. در این مجموعه‌ی بی‌نظیر، تعالیم الهی، درس‌های پیامبران به بشر، و همچنین علوم مختلفی است که سعادت بشر بدون آگاهی از آنها امکان‌پذیر نیست. کسی که با دنیای زیبا و زندگی‌بخش کتاب ارتباط ندارد بی‌شک از مهم‌ترین دستاورد انسانی و نیز از بیشترین معارف الهی و بشری محروم است. با این دیدگاه، به‌روشنی می‌توان ارزش و مفهوم رمزی عمیق در این حقیقت تاریخی را دریافت که اولین خطاب خداوند متعال به پیامبر گرامی اسلام(ص) این است که «بخوان!» و در اولین

سوره‌ای که بر آن فرستاده‌ی عظیم‌الشأن خداوند، فرود آمده، نام «قلم» به تجلیل یاد شده‌است: «إِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْاَکْرَمُ. اَلَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَم» در اهمیت عنصر کتاب برای تکامل جامعه‌ی انسانی، همین بس که تمامی ادیان آسمانی و رجال بزرگ تاریخ بشری، از طریق کتاب جاودانه مانده‌اند.

دانشگاه پیام‌نور با گستره‌ی جغرافیایی ایران‌شمول خود با هدف آموزش برای همه، همه‌جا و همه‌وقت، به‌عنوان دانشگاهی کتاب‌محور در نظام آموزش عالی کشورمان، افتخار دارد جایگاه اندیشه‌سازی و خردورزی بخش عظیمی از جوانان جویای علم این مرز و بوم باشد. تلاش فراوانی در ایام طولانی فعالیت این دانشگاه انجام پذیرفته تا با بهره‌گیری از تجربه‌های گرانقدر استادان و صاحب‌نظران برجسته کشورمان، کتاب‌ها و منابع آموزشی درسی شاخص و خودآموز تولید شود. در آینده هم، این مهم با هدف ارتقای سطح علمی، روزآمدی و توجه بیشتر به نیازهای مخاطبان دانشگاه پیام‌نور با جدیت ادامه خواهد داشت. به‌طور قطع استفاده از نظرات استادان، صاحب‌نظران و دانشجویان محترم، ما را در انجام این وظیفه‌ی مهم و خطیر یاری‌رسان خواهد بود. پیشاپیش از تمامی عزیزانی که با نقد، تصحیح و پیشنهادهای خود ما را در انجام این وظیفه‌ی خطیر یاری می‌رسانند، سپاسگزاری می‌نماییم. لازم است از تمامی اندیشمندانی که تاکنون دانشگاه پیام‌نور را منزلگه اندیشه‌سازی خود دانسته و ما را در تولید کتاب و محتوای آموزشی درسی یاری نموده‌اند، صمیمانه قدردانی گردد. موفقیت و بهروزی تمامی دانشجویان و دانش‌پژوهان عزیز آرزوی همیشگی ما است.

دانشگاه پیام‌نور

الفهرس

المقدمه

التمهيد

الفصل الأول: كتّاب ايران **١**

الدرس الأول: الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي **٣**

الأهداف المعرفية ٣

شرح المفردات ٤

للمناقشة والتدريب ٥

تمارين الدرس ٥

الدرس الثاني: ابو بكر الخوارزمى **٧**

الأهداف المعرفية ٧

شرح المفردات ٩

للتدريب والمناقشة ١٠

تمارين الدرس ١٠

الدرس الثالث: الصاحب بن عباد **١٢**

الأهداف المعرفية ١٢

شرح المفردات ١٤

للتدريب والمناقشة ١٥

تمارين الدرس ١٥

الدرس الرابع: ابن العميد **١٦**

الأهداف المعرفية ١٦

شرح المفردات ١٨

للتدريب والمناقشة_ ١٨

الحادي عشر

الثالث عشر

تمارين الدرس ١٨
الدرس الخامس: مسكويه ٢٠
الأهداف المعرفية ٢٠
شرح المفردات ٢٣
للمناقشة والتدريب ٢٣
تمارين الدرس ٢٣
الدرس السادس: بديع الزمان الهمذانى ٢٥
الأهداف المعرفية ٢٥
شرح المفردات ٢٧
للمناقشة والتدريب ٢٨
تمارين الدرس ٢٨
الدرس السابع: أَبو النَّصر محمَّد بن عبد الجبَّار العُتبي ٣٠
الأهداف المعرفية ٣٠
شرح المفردات ٣١
للمناقشة والتدريب ٣٢
تمارين الدرس ٣٢
الدرس الثامن: قابوس بن وشمكير ٣٤
الأهداف المعرفية ٣٤
شرح المفردات ٣٦
للمناقشة والتدريب ٣٧
تمارين الدرس ٣٧
الدرس التاسع: عبدالقاهر الجرجانى ٣٨
الأهداف المعرفية ٣٨
شرح المفردات ٤٠
شرح المفردات ٤٠
للمناقشة والتدريب ٤١
تمارين الدرس ٤١
الدرس العاشر: الزمخشرى ٤٢
الأهداف المعرفية ٤٢
شرح المفردات ٤٣
شرح المفردات ٤٤
للمناقشة والتدريب ٤٤
تمارين الدرس ٤٤
الدرس الحادى عشر: العماد الإصبهاني ٤٦
الأهداف المعرفية ٤٦

شرح المفردات ۴۸
ملخص الفصل ۵۰
للمناقشة والتدريب ۵۲
تمارين الدرس ۵۲

الفصل الثاني: كتّاب العراق ۴۳
الدرس الأول: ابوالإسحاق الصابئ ۵۵
الأهداف المعرفية ۵۵
شرح المفردات ۵۷
للمناقشة والتدريب ۵۸
تمارين الدرس ۵۸
الدرس الثاني: ابوحيان التوحيدي ۵۹
الأهداف المعرفية ۵۹
شرح المفردات ۶۲
شرح المفردات ۶۳
للمناقشة والتدريب ۶۳
تمارين الدرس ۶۳
الدرس الثالث: ابو محمّد القاسم الحريري ۶۵
الأهداف المعرفية ۶۵
شرح المفردات ۶۹
ملخص الفصل الثانى ۷۱
للمناقشة والتدريب ۷۲
تمارين الدرس ۷۲

الفصل الثالث: كتّاب الشام ۶۳
الدرس الأول: ابن نُباتة الفارقي ۷۵
الأهداف المعرفية ۷۵
شرح المفردات ۷۷
للمناقشة والتدريب ۷۷
تمارين الدرس ۷۸
الدرس الثاني: أبوالعلاء المعري ۷۹
الأهداف المعرفية ۷۹
شرح المفردات ۸۳
للمناقشة والتدريب ۸۵
تمارين الدرس ۸۶

الدرس الثالث: الخطيب الحصكفي **٨٧**
الأهداف المعرفية ٨٧
شرح المفردات ٨٩
للمناقشة والتدريب ٩١
تمارين الدرس ٩٢
الأهداف المعرفية ٩٣
شرح المفردات ٩٧
للتدريب والمناقشة ٩٨
تمارين الدرس ٩٨
الدرس الخامس: ضياء الدين بن الأثير **١٠٠**
الأهداف المعرفية ١٠٠
شرح المفردات ١٠٢
ملخص الفصل الثالث ١٠٢
للمناقشة والتدريب ١٠٣
تمارين الدرس ١٠٣

الفصل الرابع: كتّاب مصر_(للمطالعة) **١٠٥**
الدرس الأول: ابن الصيرفي **١٠٧**
الأهداف المعرفية ١٠٧
شرح المفردات ١٠٩
للمناقشة والتدريب ١١٠
تمارين الدرس ١١٠
الدرس الثاني: القاضي الفاضل **١١١**
الأهداف المعرفية ١١١
شرح المفردات ١١٥
للمناقشة والتدريب ١١٦
تمارين الدرس ١١٧
الدرس الثالث: أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتي **١١٨**
الأهداف المعرفية ١١٨
شرح المفردات ١٢٠
للمناقشة والتدريب ١٢١
تمارين الدرس ١٢١
الدرس الرابع: الوزير المغربى **١٢٢**
الأهداف المعرفية ١٢٢
شرح المفردات ١٢٤

للتدريب والمناقشة ١٢٥
تمارين الدرس ١٢٦
الدرس الخامس: إبن أبي الشخباء ١٢٧
الأهداف المعرفية ١٢٧
شرح المفردات ١٢٩
للمناقشة والتدريب ١٢٩
تمارين الدرس ١٣٠
الدرس السادس: التجييي ١٣١
الأهداف المعرفية ١٣١
شرح المفردات ١٣٤
ملخص الفصل الرابع ١٣٥
للتدريب والمناقشة ١٣٦
تمارين الدرس ١٣٦

أجوبة تمارين الدروس ١٣٧
المصادر والمراجع ١٤١

المقدمه

دراسة النثر فى العصر العباسي الثانى يتميّز بأهميّة خاصّة؛ لأنّ النثر فى هذا العصر كما الحضارة و كما البذخ والترف أخذ يتزخرف و يتعقد حتى حصل منه أدباً يبهر العيون و يتعب العقول و يُلهى النفوس؛ ذلك لأن فيه الفخامة و فيه الزخرفة و فيه المعانى البعيدة الغور؛ فلذلك كان من الواجب أن يُعتنَى به و أن يدرس و أن يعرَّف صانعوه؛ أولئك العمالقة الذين خُلِّدت أسمائهم فى تاريخ الأدب العربى. فبعد أن اقترحت جامعة بيام نور الموقرة بأن يبادر الأساتذة و أصحاب البحث الأدبى بدراسة نصوص نثريّة من هذا العصر، رحَّبنا بهذا الإقتراح، فمن ثمّ سعينا فى هذا الإطار أن نختار أجمل نصوص و أفخمها، من صنع عمالقة النثر العربى، ثم قسَّمنا البحث إلى أربعة فصول و خصّصنا كل فصل لبلد بعينه من العالم الإسلامى. فبدأنا بمعدن النثر الفنّى و ينبوعه و هو بلاد فارس، فتطرّقنا إلى غطارفة النثر فيه و هم «الصاحب ابن العبّاد» و «الخوارزمى» و«ابن العميد» و «بديع الزمان» و غيرهم، و شرحنا بعض المقتطفات من جميل أعمالهم.

ثم تطرّقنا إلى بلاد العراق، فذكرنا من ناثريهم «أباأسحاق الصابئ» و «أبّاحيان التوحيدىّ» و «الحريرىّ» و غيرهم، و أمعنّا فى بعض آثارهم و شرحناها كما هو اللازم.

ثم إلى بلاد الشام، فاخترنا من لامعيهم: ابن نباته الفارقىّ و اباالعلاء المعرىّ والخطيب الحصفكىّ، فشرحنا بعض نصوص لهم.

ثم إلى بلاد مصر، فذكرنا أعمدة من ناثريهم، من بينهم ابن الصيرفىّ و القاضى الفاضل، وغيرهم فعملنا على بعض نصوصهم كما عملنا على السابقين شرحاً.

كما أننا لغزارة المطالب، أضطررنا أن نخصّص الفصل الرابع للمطالعة؛ لغرض أن لا نحمِّل الطلاب اكثر مما يطاق و نسبّب لهم دواعى الملل. هذا و آخر دعوانا أن الحمد لله أولا و آخرا.

مسعود فرهانى عرب- عبدالعلى ديلمى

التمهيد

١. عموماً عندما نمرّ على التاريخ ثم ندخل في العصر العباسي، نشعر أن الحياة العربية تغيّر إطارها تغيرًا تامًا، بل لقد تهدَّم إطارها القديم وحلّ محلّه إطار جديد من الزخرف والتصنيع، فقد أخذ الناس يعيشون معيشة حضارية مترفة، لا تتصل بالبادية ولا بالحياة العربية القديمة، إنما تتصل بالأناقة والترف والزينة، وقد كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية أهم مدينة في العالم العربي، تعبّر عن هذه الحياة الجديدة وما يتصل بها من زخرف وتصنيع، إذ "كانت تسمّى بحق مدينة القصور المشيّدة بالمرمر، وكانت العمائر فيها مؤلفة من عدة طبقات، وكان تأثير الذوق الفارسي ظاهرًا جليًا في زخرفها، وكانت تعلّق على النوافذ والأبواب ستور مزركشة وجواهر مشجرة. أما الغرف فكانت مزدانة بالمناضد الثمينة، والمزهرّيات الخزفيّة، والمرصّعات والمذهّبات. وكانت قصور الخليفة تتألق بالجواهر البراقة".(راجع: سيد أمير علي،١٩٣٨: ٣٨٤).

والحق أن الحياة العباسية كانت تقوم على الترف والزينة وما يتصل بهما من تصنيع وزخرف، وقد ساعد الناس على ذلك ارتفاع مستوى المعيشة وما كانوا عليه من بذخ وثراء.

وكما تأنق الناس في طعامهم تأنقوا في ثيابهم وملابسهم ايضاً، فكانوا يلبسون الثياب المصبّغة، وخاصة في شرابهم.(انظر: ابن الطقطقى،١٩٣٨م: ١٥٣).

وما من ريب في أن ما انتشر في هذا العصر من غناء وشراب ولهو كان له أثره في هذا الذوق المترف الذي كان من الطبيعى أن يُسري التصنيع والزخرف في جميع جوانب الحياة، من عمارة أو أطعمة أو فرش. وطبيعي أن يسري هذا الذوق من حياة العباسيين الاجتماعية إلى حياتهم الأدبية؛ لأنه تعبير عصرهم الذي عاشوا فيه، وإن الإنسان ليخيل له

كأن الناس فرغوا للتنميق والتصنيع، فهم يصنعون وينمّقون في دورهم، وفي ملابسهم وفي طعامهم، وفي كل ما يتصل بهم.

٢. واما بالنسبة للتصنيع، فعندما نتتبع أصحاب الدواوين في الخلافة العباسية، نجدهم منصرفين إلى العناية بكتابتهم، إذ كانت هذه العناية هي التي توفّر لهم أسباب النجاح في حياتهم. و الكل يعرف ما كان من مشاركة البرامكة في الأدب والعلم، ومعرفتهم بالبيان والبلاغة، كما كان لهم الأثر الأول في الاتجاه إلى التصنيع في الكتابة. كان الفضل بن سهل يُسمّى ذو الرياستين لجمعه بين رياسة السيف ورياسة القلم، وقد روى الرواة أن عمرو بن مسعدة وقّع على رقعة رُفعت إلى جعفر بن يحيى البرمكي، فأعجب بها جعفر وضرب بيده على ظهره وقال له: أي وزير في جلدك؟(راجع: ابن خلكان، ج١، ١٩٧٨: ٣٩٠)، كما وصل محمد بن عبد الملك الزيّات إلى الوزارة عن طريق أدبه وبيانه وما يحققه فيه من تنميق وتصنيع. ويظهر أن جماعة كتاب الدواوين، كانت تأخذ نفسها بثقافة واسعة، إذ كانوا يأخذون أنفسهم بثقافة فلسفية، كما كانوا يأخذون أنفسهم بالثقافة الفارسية والهندية، ومن أجل ذلك نعى عليهم ابن قتيبة أنهم يهملون النظر في اللغة بينما يشغفون بالنظر في النجوم والمنطق والفلسفة والحديث عن الكون والفساد والكيفية والكمية والجوهر والعرض، ذلك مما كانوا يتشدّقون به مما عرفوه من الفلسفة و الثقافة الاجنبية. (انظر: ابن قتيبة،١٣٠٠: ٣)

وهذا كله يدل على أن كتّاب الدواوين كانوا يوسعون ثقافتهم ما استطاعوا، وغنوا خاصة بالثقافة الفلسفية، حتى يعمّقوا أفكارهم ويرتّبوا معانيهم ترتيبًا دقيقًا، وهم كما عنوا بمعانيهم عنوا أيضًا بألفاظهم عناية قد تفوق عنايتهم بمعانيهم، حتى ليقول الجاحظ: "أما أنا، فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا ولا ساقطًا سوقيا"(الجاحظ، ج١٩٧٥،١: ١٣٧) ويقول أيضًا: إن الكتاب لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيّرة والمعاني المنتخبة، وعلى المخارج السهلة والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها، وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني. (المصدر نفسه: ٢٤)

وما من ريب في أن هذه شهادة قيمة من الجاحظ لطائفة الكتاب، وما كانوا يوفرون لألفاظهم من عناية. هذه العناية كانت واضحة منذ عصر البرامكة الذين روت كتب التاريخ عنهم ترفًا واسعًا، وكأن هذا الترف دفعهم هم والكتاب من حولهم إلى التأنق في حياتهم الاجتماعية، والتأنق أيضا في حياتهم الأدبية. وخير من يصور ذلك جعفر بن يحيى البرمكي صاحب الدواوين في عهد الرشيد، فقد أشاد السابقون ببلاغته. يقول الجهشياري: "كان جعفر بليغًا كاتبًا، وكان إذا وقّع نُسخت توقيعاته، وتُدورست بلاغاته" (الجهشياري، بلاتا: ٢٠٤) وأكبر الظن أن جعفرًا كان يبني عباراته على السجع، وهذا أول مظهر من مظاهر مذهب التصنيع، ويبدو أن هذا الاتجاه في صناعة النثر لم يقتصر حينئذ على جعفر البرمكي ودواوينه بل أخذ ينتشر وخاصة عند طلاب الحاجات الذين يرفعون ظلاماتهم أويقدمون توسلاتهم. فقد روى الجاحظ أن ابن سيّابة الشاعر كتب إلى يحيى بن خالد البرمكي رسالة بليغة كان عامة أهل بغداد يحفظونها، وهي رسالة بُنيت كلها على السجع.(الجاحظ، ج١٩٧٥،٢: ٢١٥).

إذاً فنحن لا نبعد إذا قلنا: إن عنصر السجع، وهو العنصر الأول في مذهب التصنيع أخذ يظهر منذ القرن الثاني الهجري، وإذا تركنا هذا القرن إلى القرن الثالث، وجدنا هذا العنصر يظهر في الرسائل السياسية، وعند كتّابها. وقد يكون من الطريف أن نلاحظ أن أهم الكتّاب، الذين نمّوا السجع في القرنين الثاني والثالث كانوا من الأجانب، وعلى رأسهم أسرة البرامكة الفارسية، وأسرة الصوليين التركية. و الشيء الذى يجب ان يقال هو ان السجع قديم في اللغة العربية، وغاية ما هنالك أنه اختفى أول الأمر في الكتابة الديوانية، ثم أخذ يظهر فيها من حين إلى حين منذ القرن الثاني، على أننا لا نصل إلى أواخر القرن الثالث، حتى نجد دوافع كثيرة تدفع بعض الناس إلى التزامه في كتاباتهم، وكأنما حياتهم المليئة بالزخرف، والتصنيع هي التي دفعتهم إلى ذلك دفعًا، ثم فى القرن الرابع نرى ان الانتاج الادبى اصبح اضخم و اغنى و اكثر حجماً و تشعّباً. يقول احمد امين فى هذا الشان:

«كان النتاج الادبى فى هذا العصر من نظم و نثر صورة صحيحة للحياة الاجتماعية فى غنائها و ترفها من جانب و فقرها و بؤسها من جانب آخر، و فى اضطراب الشوون السياسية و الحياة الاجتماعية و فى حياة اللهو و حياة الجدّ و فى انحلال الاخلاق و انغماس الادباء فيها. و لعل خير ما يمثّل ادب هذا العصر كتاب يتيمة الدهر للثعالبى. و ربما كان اكبر من يمثل كتّاب النثر ابن العميد وابن عباد و الخوارزمى و بديع الزمان و ابو

حيّان التوحيدى؛ فهولاء بحكمهم و عزّهم و ترفهم كان نتاجهم الادبى مترفا يتانق فى فنه؛ فاناقة الملبس و الماكل و المعيشة جديرة بان تحمل اصحابها على التانّق فى الادب.

فادب هذا العصر تقدم خطوات فى السجع و المحسنات اللفظية و المبالغة البلاغية؛ فالصابّى و ابن عباد افرطا فى السجع و كادا يلتزمانه، و غيرهما يسجع و ان كان لا يلتزم. كما امعنوا فى الاستعارات و المجازات و التشبيهات و تفننوا فى تزيين الكتابة تفنن اصحاب الطرف فيما يصنعون من حلىً و ادوات زينة. و اذ كانوا فى مركز رئيسى فى الحياة الاجتماعية كان طبيعياً ان يكون نتاجهم هو المثل يُقلّد و يُحتذى؛ فمن كان اديبا فقيرا تشبّه بهم و حذا حذوهم، و هم بذلك قد خلقوا ذوقا عاما فى الادب يستحسن طريقتم؛ فجارى الادباء هذا الذوق كما نراه عند الثعالبى فيما ينشى و فى ما يروى».(امين، ج١، بلاتا: ١٣٢).

التصنيع ودواوين الإمارات الفارسية:

٣. إذا تركنا عصر المقتدر طلع علينا عصر جديد هو عصر الإمارات، التي تقسمت فيما بينهما إيران وخراسان، ونقصد إمارة السامانيين، الذين امتد نفوذهم في خراسان وما وراء النهر من سنة (٢٦١ه.) إلى سنة (٣٨٩ه.)، ثم إمارة البويهيين الذين بسطوا نفوذهم على الولايات الجنوبية الغربية من إيران، كما بسطوه على العراق وبغداد نفسها؛ إذ كانت الخلافة تحت قبضتهم، وقد استمر سلطانهم من سنة (٣٢١ه.) إلى سنة (٤٤٧ه.) وبجانب هاتين الإمارتين الكبيرتين كانت توجد إمارتان صغيرتان: إحداهما في خوارزم، والثانية في طبرستان وجرجان حيث أسرة الزياريين، ثم تظهر الدولة الغزنوية في أواخر القرن الرابع، فتستولي على ما كان بيد السامانيين. والغزنويون يرجعون إلى أصل تركي بينما يرجع السامانيون والبويهيون والزيّاريّون إلى أصول فارسية، وأسس الغزنويون لهم أول الأمر إمارة في أفغانستان، ثم توسّعوا فاستولوا على إمارة السامانيين.

وقد هيأت هذه الإمارات والدول المختلفة لحركة أدبية وعقلية واسعة، بحيث يمكن أن يُعَدّ هذا العصر -على الرغم مما كان فيه من انقسام الدولة العباسية على هذا النحو- أحفل العصور العربية بالنشاط الأدبي والعلمي والفلسفي.

ويكفي أنه ظهر في هذا العصر أشهر فلاسفة الإسلام وعلمائه من مثل ابن سينا الذي خدم في بلاط السامانيين، والبيروني الذي خدم أولًا في بلاط ملوك خوارزم ثم خدم في بلاط ملوك الدولة الغزنوية.

٤. على أن الجانب العقلي لا يهمنا، إنما يهمنا الجانب الأدبي وما لقي الأدب حينئذ من تشجيع ورواج. والغريب أن الحياة الأدبية ازدهرت في هذا العصر ازدهارًا لم تعرف في أي عصر سابق، إذ كان كل حاكم في إمارة من هذه الإمارات السابقة، يختار في حاشيته جماعة من الأدباء الممتازين لينافس بهم حكام الإمارات والدول الأخرى. وبذلك ظهر في كل مركز من مراكز هذه الإمارات حركة أدبية. وساعد على ذلك أن هؤلاء الحكام استوزروا كبار الأدباء في أقاليمهم، ومن ثَمَّ أصبحنا نسمع في كل إمارة بإسم أديب بل بإسم أدباء ممتازين يلون شئونها ويشرفون على مرافقها، فعند السامانيين نجد العميد والد ابن العميد الكاتب المشهور، كما نجد الإسكافي الكاتب المعروف، ونجد أيضا أسرة بني ميكال النيسابورية، وقد وَلِيَ كثير منها دواوين السامانيين. وعند البويهيين نجد ابن العميد كما نجد الصاحب بن عباد، وهما أهم كتّاب العصر. وفي الدولة الزيّارية نجد أميرًا من أمرائها يشتهر بالكتابة، وهو قابوس بن وشمكير. ولم يقف هذا الامتياز للأدباء، وصلتهم بالحكام عند أصحاب الإمارات الكبيرة، فقد كان بعض حكام البلدان الصغيرة يتخذون كتّابا مشهورين، مثل البُستي كاتب أمير مدينة بست في أفغاستان، ثم كاتب الدولة الغرنوية، وإن الإنسان ليخيل إليه أن كل حاكم في مدينة، أو مقاطعة بإيران لم يعد يشغله إلا أن يجمع حوله بطانة من الكتّاب تعيش في بلاطه. ويكفي للدلالة على اعتداد الحكام بالكتّاب أن نجدهم في بغداد يستخدمون على ديوان الرسائل كاتبًا صابيئًا ليس من المسلمين، هو أبو إسحاق الصابئ، لما عرف من بلاغته ومهارته البيانية. وما يدلّ على ما كان للكتابة الجيدة في هذا العصر من شأن حتى في السياسة نفسها، ما رواه صاحب اليتيمة من أن ابن العميد كتب رسالة إلى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة وخروجه عليه، فلما قرأه ابن بلكا رجع وأناب، وقال: لقد ناب كتاب ابن العميد عن الكتائب في عرك أديمي فاستصلحني، وردّني إلى طاعة صاحبه.(راجع: الثعالبي، ج٣، ١٩٧٩: ١٤٧)

وهذه القصة تدلّ على قيمة الكتب المحبّرة في القرن الرابع، وأنها كانت تقوم مقام الجيوش في الظفر بالأعداء، ولذلك اهتمّ كل أمير بوزرائه وكتّابه، واهتمّ الوزراء والكتّاب أنفسهم بصناعة كتبهم وتحبيرها وإدخال كل ما يمكن من ضروب التصنيع والتجميل عليها. وقد كانت حياتهم تؤهّل لذلك، إذ كانت تقوم على التصنيع والتحبير.

ومهما يكن، فإن الإمارات الفارسية هيأت لنهضة أدبية واسعة، وقد اقترنت هذه النهضة بمذهب التصنيع.

والحق أن أمراء الدول الإيرانية عامة شجعوا -بكل وسيلة تمكنهم- الأدباء والكتاب. ومن الظواهر المهمة التي اقترنت بهذا العصر أننا نجد الأدباء ينتقلون من بلاط إلى بلاط يرفعون كتبهم، ومؤلفاتهم إلى الملوك والأمراء.(المصدر نفسه: ٢٦٧)

وكان ذلك كله مبعث نهضة أدبية لا نغلو إذا قلنا: إنها -من وجهة الكتابة والصناعة الديوانية- تعلو على كل نهضة سبقتها في هذا الجانب، وتتفوق على كل حركة تقدمتها، إذ أترف الذوق الكتابي لهذا العصر بسبب ترف الملوك والأمراء الذين كانوا يقومون عليه، وأصبحنا نجد أساس البلاغة أن تكون حلية وزينة، فهي تستخدم استخدامًا زخرفيًا، تستخدم كأداة من أدوات الترف والزينة، وكل أمير يفخر بما حصل عليه من هذه الأدوات والطرف الزخرفية، وبذلك يصل مذهب التصنيع إلى الغاية التي كان يرنو إليها منذ القرن الثاني، وهي غاية كلها زخرف وتصنيع.

و بناءاً على ما قلناه حول دور الامارات الفارسية و امرائها فى تحكيم اسس الأدب لاسيما التصنيع فى الكتابة، حرىّ بنا ان نبدأ بالأدباء الايرانيين و نخصص لهم الفصل الاول من هذا الكتاب.

الفصل الأول

كتّاب ايران

إنّ النثر الإيرانيّ الذي بين أيدينا ونحن بصدد تعريفه والذى اعتمد عليه الكتّاب يقع تحت عنوان الإسلوب الأدبيّ أو النثر الفنيّ وهو ينقسم على ثلاثة أقسام:

١. الإسلوب المتوازن القائم على توازن العبارات دون التقيد بالسجع أوالبديع وهو قديم ورائده فى القرن الرابع الذى نحن بصدده هو أبو حيّان التوحيديّ الذى سوف نتكلم عنه فى الفصل الثانى.

٢. الإسلوب المسجع المحلَّى بالبديع الذى عرف بعنصر التصنيع و الشىء الذى يجب ان يقال هو ان السجع قديم في اللغة العربية، وغاية ما هنالك أنه اختفى أول الأمر في الكتابة الديوانيّة، ثم أخذ يظهر فيها من حين إلى حين ثم فى القرن الرابع نرى ان الانتاج الادبيّ اصبح اضخم و اغنى و اكثر حجماً و تشعّباً. وإمامه واستاذه فى هذا القرن هو **ابن العميد**، لأنّه اول كاتب اعتمد فى كتابته على السجع والبديع بما فيه من جناس وطباق وتصوير.(شوقِى،١٩٧١: ٢٠٩)

٣. والثالث هو الإسلوب الذى يبنى على الإفراط و التعقيد فى استخدام أنواع البديع كما يبنى على استخدام الغريب والأمثال والشعر فى النثر وهو الذى سمّاه شوقى ضيف«بمذهب التصنّع» واعتبر قابوس بن وشمكير بداية انتشار هذا المذهب الذى بدأت شياته وبوادره عند امثال الخوارزميّ وبديع الزمان الهمذانيّ؛ وعمّ فى القرن الخامس وما بعد ذلك جميع الكتّاب.(المصدر نفسه: ٢٦١)

فكتّاب ايران تقدموا خطوات فى السجع و المحسنات اللفظيّة و المبالغة البلاغيّة، كما امعنوا فى الاستعارات و المجازات و التشبيهات و تفنّنوا فى تزيين الكتابة تفنّن اصحاب الطرف فيما يصنعون من حليً و ادوات زينة. و اذ كانوا فى مركز رئيسيّ فى الحياة الاجتماعية كان طبيعياً ان يكون نتاجهم هو المثل يُقلّد و يُحتذى؛ وقد خلقوا ذوقا عاما فى الأدب يستحسن طريقتهم؛ فجارى الأدباء هذا الذوق كما نراه عند الثعالبيّ فيما يُنشىء و فى ما يروى. وأخيراً سوف نتحدّث عن أعلام النثر فى هذا العصر الذى يبدأ بالحسن بن عبد الرحمن بن خلاّد الرامهرمزي وينتهى بالعماد الإصبهانى.

الدرس الأول

الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي

(٢٦٥ – ٣٦٠ه/ ٨٤٤ – ٩٣٩م)

الأهداف المعرفية

يتوقع من الطالب بعد انتهائه من قراءة الدرس أن:

١. يتعرف على حياة الكاتب وميزات نثره.

٢. يتعرف على المفردات في النص.

٣. يشرح الدرس بالعربية أو يترجمه إلى الفارسية.

٤. يجيب عن الأسئلة المطروحة في نهاية الدرس.

أبو محمد القاضي: ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: هو حسن التصنيف مليح التأليف، يسلك طريقة الجاحظ، وكان شاعرا، وقد سمع الحديث ورواه، مات في حدود ستين وثلاثمائة.(ابن نديم،١٨٧٢: ١٧٢؛ و انظر: السمعانى، ج٦، ١٣٨٢: ٤٧)

قال: وله من الكتب: كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق. كتاب الفلك في مختار الأخبار والأشعار. كتاب أمثال النبي صلى الله عليه و آله وسلّم. كتاب الريحانتين الحسن والحسين و غيرها. و كانت وفاته قريبة من سنة(٣٦٠ه) فى رامهرمز.(المصدر نفسه:١٧٢)

وكان القاضي الخلادي من أقران القاضي التنوخي، وقد مدح عضد الدولة أبا شجاع بمدائح، وبينه وبين الوزير المهلبي وأبي الفضل ابن العميد مكاتبات ومجاوبات منها ما نقلته من «مزيد التاريخ» لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمد الذي زاده على «تاريخ السلامي» في ولاة خراسان(الثعالبى،ج١٩٧٩،٣: ٤٢٣)؛ وقد اخترنا منه التهنئة التى كتبها إلى أبى محمد المهلبى لمّا استوزر فقال: